

تدخل الدولة في

عزوا قيام الحكم المستنصر ببناء ٢٧ مكتبا لتعليم أطفال الفقراء مجانا الى نزعة خيرية والى أشياء لاتمت بصلة ولو بعيدة إلى اهتماماته بتثقيف أفراد شعبه . (٢)

والحقيقة أن القضية صعبة ومعقدة وليس من السهل تناولها ببساطة أو تجريدها من تعقيداتها ولا يقتصر الأمر في هذا المجال على الأندلس فحسب ولكن كثيرا من هذه المعايير قابلة للتطبيق على التعليم في العالم الاسلامي ككل ، وعلى الباحث أن يقف متحيراً أمام هذه الآراء المتباينة والمتضاربة .

ولنقصر عملنا هنا على تناول هذه المشكلة في الأندلس بادئين بالاجابة عن هذا السؤال :

الى أين نمضي بين تلك الآراء المتضاربة تماما ؟ لاشك أن لكل من هاتين المجموعتين وجهة نظر خاصة تعتمد عليها ، وتنطلق منها في اصدار أحكامها وآرائها . وحتى يمكن لنا أن نحلل الأمر تحليلًا علميًا ، فلا بد لنا أيضا من وضع تعريف محدد لمعنى تدخل الدولة في التعليم حتى يمكن أن ننطلق منه لعرض مآثره مناسبة ، ولا بد من وضع قواعد محددة نستهدي بها طريقنا في التعرض لمشكلة غامضة تتضارب حولها الآراء تضاربا حقيقيا ، وما أريد قوله هو : ماذا نقصد بتدخل الدولة في التعليم ؟

١- هل نقصد بذلك قيام الدولة بإنشاء هيئة تنظيمية تتولى الاشراف على المعلمين وأماكن التعليم والطلبة . . .

الخ ؟

٢- هل نقصد قيام الدولة ببناء المدارس والاتفاق عليها ؟

٣- هل نقصد تولي الدولة وضع المنهج والمحتوى التعليمي وتوجيهه في اطار يتفق وسياسة الدولة ؟

٤- أم نقصد اتفاق الدولة على المعلمين واعطائهم مرتبات شهرية ؟

تدخل الدولة في التعليم في الأندلس مسألة اختلف حولها الباحثون والدارسون اختلافا بينا وتعارضت آراؤهم بتفاوت الفترة الزمنية وباختلاف مفهومهم لمعنى تدخل الدولة في التعليم . هناك من ركز آراءه حول مسألة انشاء المراكز التعليمية وبناء المدارس أو غيرها من أماكن التعليم ، وهناك من اعتمد على العملية التدريسية ذاتها ، ومن انطلق في آرائه على نظام التعليم .

في كل نقطة من هذه النقاط تعارضت الآراء وتباينت واختلفت التعبيرات اختلافا كبيرا . وحتى يمكن لنا تقديم دراسة سهلة مبسطة فانه من الممكن تصنيف هذه الآراء ضمن مجموعتين مبتعدين بذلك عن الاغراق في تفاصيل كثيرة :

المجموعة الأولى تميل الى الرأي القائل بالتدخل الواضح والمباشر للدولة في نظام التعليم وترى أنه من الصعب أن تترك النظم السياسية مثل هذا المجال الخطير حرا دون أن تعني بتوجيهه الوجهة التي تتناسب معها . وتشكل هذه المجموعة من عدد لا بأس به من المؤرخين العرب ومن المتخصصين في الدراسات العربية والاسلامية من غير العرب ، وينسب هؤلاء الى بني أمية في الأندلس قيامهم بتأسيس مجمع للعلوم في قرطبة حيث مارسوا التعليم على الطريقة المشرقية وعلموا علم الكلام والفقه وباقي المواد الأخرى . (١)

أما المجموعة الأخرى من الباحثين والأساتذة فترفض رفضا باتا أن يكون للدولة في الأندلس شأن والعملية التعليمية ، ترى ان التعليم كان حرا تماما ، وان المعلم كان يتمتع بحق أن يعلم ماشاء ومتى شاء ، وينفون قيام أمراء بني أمية أو غيرهم من حكام الأندلس بتشديد أية مؤسسات تعليمية على الأقل حتى الفترة الأخيرة من مملكة غرناطة حين أنشئت أول مدرسة في عام ٧٥٠هـ / ١٣٤٩ م ، ولقد

التعليم في الأندلس

٥- أم نقصد قيام الدولة بذلك كله ؟

المشكلة الحقيقية التي تواجه الباحث في هذا المجال هي محاولات تطبيق مفاهيم ومعايير معاصرة على فترة زمنية يفصل بيننا وبينها أكثر من ألف عام في بعض فتراتنا ، وأقل من خمسمائة عام في بعضها الآخر ، ونتيجة لاتساع المفهوم الخاص يتدخل الدولة أو مدى الحرية ، فأنني أرى أن للجانب الذي يقول بعدم وجود تدخل للدولة في التعليم بعض الحق ، إذا كان قصدهم وجود هيئة رسمية تحمل اسم الاشراف على التعليم .

كما ان لهم الحق في الاعتماد على ابن سعيد القائل بأن اهل الأندلس لم يكن عندهم مدارس تمنونها الدولة .

من ناحية أخرى فإنني شخصياً أعتقد بممارسة الدولة لنوع من التدخل في التعليم في الأندلس وأن ذلك التدخل قد شمل كافة النقاط التي بينتها ، وان كان ذلك يتباين من فترة الى أخرى ومن عصر الى عصر ، ولنستعرض معا بعض مايبث هذا الرأي ، على الأقل من جهة نظري .

من المعروف بداهة في الاسلام ، ذلك التكليف الديني الملزم للحكام بالقيام بنشر الاسلام وتحمل مسئولية تعليم الدين الجديد ونشره بين الناس وخاصة في البلاد المفتوحة حديثا ، كما أنه من المعروف تاريخياً ما بذله خلفاء المسلمين في العصور المختلفة من جهود لنشر الاسلام وتعليم الناس الدين الجديد واللغة العربية . وفي الأندلس كان تزويد الجيش الاسلامي بعدد كبير من التابعين ومن العرب لم يكن بقصد أن يقوم هؤلاء بالحرب والجهاد فحسب بقدر ماكان بغرض قيامهم بنشر الدين بين البربر وسكان الأندلس وتعليمهم اللغة العربية . ومنذ بداية الفتح الاسلامي لهذه البلاد وجهود الحكام لم تتوقف ومساعدتهم لم تنقطع من أجل نشر اللغة العربية والدين الاسلامي والارتفاع بالمستوى الثقافي والعلمي لاسبانيا الاسلامية .

ويمكن تلخيص جهود حكام الأندلس وتدخلهم في النظام التعليمي في بلادهم في النقاط التالية :

أولاً - التدخل في المنهج التعليمي :

١- ينقل لنا ابن القوطية المتوفى ٣٦٧هـ/٩٧٧ م نصاً قيماً قد تشوبه مسحة من اللطافة ولكنه يحمل معنى كبيراً ومهما للغة ، يقول ابن القوطية عند حديثه عن الصميل بن حاتم : ومن أخبار الصميل ، أنه خطر يوماً يؤدب يؤدب الصبيان وهو يقرأ « وتلك الأيام نداولها بين الناس » (٣) فقال الصميل : نداولها بين العرب ، قال المؤدب : بين الناس فقال الصميل : أهكذا نزلت الآية ؟ ، قال المؤدب : نعم هكذا نزلت ، قال الصميل : والله ان أرى هذا الأمر سيشركننا فيه العبيد والسفال الأراذل « (٤) ويتناول المستشرق الاسباني الكبير خوليان ريبيرا هذا النص بالدراسة والتحليل ويرى في هذا الموقف الفرق بين رجل السياسة ورجل الدين ، فالأول منهما يسعى لتركيز السلطة في يده عن طريق السيف أو بأية طريقة أخرى بينما الثاني بما يمتلكه من حماس ديني فهو لا يهتم الا بنشر الدين بين الاسبان حديثي عهد بالاسلام (٥) .

لكن النظرة المتأنية لهذا النص قد توحى بما هو أكثر من ذلك : أولاً وقبل كل شيء الشك في صحة هذا الخبر واحتمال أنه خبر موضوع للتهجم على العرب ونقدهم وخاصة ان كاتبه « ابن القوطية » من أصل اسباني وان المولدين كانوا قد أحسوا بشخصيتهم ونفوذهم ، وأنهم قد قاموا بأكبر الثورات ضد قرطبة على يد عمرو بن حفصون . وعوامل الشك هي : أولاً أن الفترة الزمنية الفاصلة بين الحدث وروايته حوالي مائتي عام تقريباً ، وهي فترة طويلة نسبياً ان لم يكن الخبر مدوناً . وثانياً ، ذلك التصادف الغريب بين مرور الصميل وقراءة هذه الآية

بالذات .

صنع التعليم كله خلال كافة مراحل بصيغة هذا المذهب ،
وإذا كان الخلاف بين الباحثين والمؤرخين حول اسم أول
أمير أندلسي قام بفرض هذا المذهب ، وإذا كانوا قد
انقسموا في أقوالهم بأنه الأمير هشام الأول أو الحكم
الربضي أو أنه عبد الرحمن الأوسط ، فليس ذلك مما يعنيني
كثيرا ، لكن المهم أن هذا المذهب قد عرف استقرارا في
الأندلس كالمذهب الرسمي الوحيد (١٠) وأنه لقي مساندة
واضحة من الأمراء ، وهي بالتالي مساندة لنوع معين من
التعليم في بلادهم ، وقصرهم الوظائف العامة على من يتبع
ذلك النوع من التعليم ، وما هو أكثر دلالة قيامهم بمحاربة
ومطاردة كل من يخالف هذا المذهب ، مثلما هو الحال في
مطاردتهم لكل المذاهب الدينية الأخرى كالشيعة والمعتزلة
والخوارج . . . الخ ، وكذلك مقاومتهم الشديدة والقاسية
أحيانا لمن يتعاطى الفلسفة مثلما حدث مع ابن مسرة
القرطبي ، وليس الأمر كما يحاول أن يصوره بعض
الباحثين على أنه استرضاء للعامة ، وخضوع للفقهاء ،
لأننا نرى أن الخلفاء يتدخلون لحماية بعض العلماء على
الرغم من معارضة الفقهاء لهم ، مثلما حدث مع بقي بن
مخلد ومحمد بن عبد السلام الخشني وغيرهما .

٤- شهد العصر المرابطي والموحدي تدخلا سافرا لفرض
مناهج تعليمية معينة تتناسب والعقيدة التي تقوم عليها
الدولة ، فبينما نجد أن المرابطين يهتمون بأهل الفقه
والدين حتى بلغ الفقهاء في أيامهم مبلغا عظيما لم يبلغوا
مثله في الصدر الأول من فتح الأندلس ، ويصف
المراكشي هذه الحالة بقوله : فعظم أمر الفقهاء وانصرفت
وجوه الناس اليهم ، فكثرت لذلك أموالهم ، واتسعت
مكاسبهم (١١) ، نجد أن الموحدين يميلون الى المذهب
الظاهري « ويأمرون بقطع الفروع ، وأن الأمير أبي يوسف
يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن » تقدم الى الناس في
ترك الاشتغال بعلم الرأي والخوض في شيء منه ، وتوعد
على ذلك بالعقوبة الشديدة ، وأمر جماعة ممن كان عنده
من العلماء المحدثين بجمع أحاديث من المصنفات العشرة
في الصلاة ، وما يتعلق بها على نحو الاحاديث التي
جمعها محمد بن تومرت في الطهارة ، فأجابوه الى ذلك

من ناحية أخرى هناك من العوامل ما يدفع الى قبول
هذا النص منها مثلا أن ابن القوطية على الرغم من أصله
الاسباني الا أنه لا يتطرق أي شك في ايمانه ، ولقد احتل
مكانة بارزة على عهد عبد الرحمن الناصر بل كان أفضل
الأندلسيين علما باللغة العربية وذلك بشهادة أبي علي
القالبي (٦) ، كما أن الفترة التي عاش فيها ، عصر عبد
الرحمن الناصر لم تكن تسمح له بإيراد شيء ضد العرب ،
ان لم يكن له أصل من الحقيقة ، علاوة على ذلك فقد
قبلها وسجلها كافة المؤرخين سواء من العرب أو من
غيرهم .

وإذا قبلنا هذه الرواية ، مثلما قبلها الجميع ، فأنني
أستشف منها معاني أخرى كثيرة ، منها : وجود مكان لتعليم
الاطفال ، وان هذا المكان يمكن المرور عليه ورؤيته
وسماع ما يدور فيه . ومنها أيضا أن المسؤولين كانوا
يتفقدون هذه الأماكن التعليمية ليطلعوا على ما يقوم به
المؤدب ، ومنها ما هو أكثر احتمالا قيام هؤلاء المسؤولين
بمحاولة فرض منهج تعليمي محدد يتماشى وسياسة هؤلاء
الحكام .

٢- ملاحظة أخرى ينقلها لنا ابن القوطية أيضا ، تبدو أكثر
وضوحا ودلالة حين حديثه عن القاضي أمية بن عيسى أحد
وزراء الأمير محمد الذي حكم خلال الفترة من عام ٢٣٨هـ
الى ٢٧٣ (٨٥٢-٨٨٦) ، يقول : لقد خطر يوما بدار
الرهائن المجاورة لباب القنطرة (٧) ، ورهائن بني قيس
ينشدون شعر عنترة (٨) ، فقال لبعض الأعوان : أتني
بالمؤدب ، فلما نزل الى فراش المدينة ، وآتاه المؤدب قال
له : لولا أنني أعزرك بالجهل لأدبتك ، تعتمد الى شياطين
شجي ، بهم الخلفا فترويهم الشعر الذي يزيدهم بصيرة في
الشجاعة ، كف عن هذا ، ولا تروهم الا خمريات الحسن
بن هاني وشبهها من الأهزال (٩) . «

وفي هذا النص نجد أيضا ان معلما تعينه الدولة
وتهتم - حتى ولو بطريقة غير مباشرة - بوضع منهج خاص
يتلاءم وظروفهم الخاصة .

٣- قبول المذهب المالكي كمذهب رسمي للدولة ، مما

وجمعوا ما أمرهم بجمعه، فكان يمليه على الناس بنفسه، وبأخذهم بحفظه، وانتشر هذا المجموع في جميع المغرب وحفظه الناس من العوام والخواص، فكان يجعل لمن حفظه الجعل السني من الكسا والأموال. وكان قصده في الجملة محو مذهب مالك وإزالته من المغرب مرة واحدة، وحمل الناس على الظاهر من القرآن والحديث (١٢)، ويؤكد ابن فرحون ذلك حين يترجم لمحمد بن أبي عبد الله محمد بن سعيد بن زرقون الأشبيلي (المتوفى ٦٢٠هـ / ١٢٢٣ م) فيقول بأنه «شيخ المالكية، وكان من كبار المتعصبين للمذهب، فأوذى من جهة بني عبد المؤمن، ولما أبطلوا القياس، وألزموا الناس بالأثر والظاهر صنف كتاب المعلى في الرد على المحلى لابن حزم (١٣)».

ثانيا - التدخل في شئون المعلمين :
في هذا المجال، أخذ تدخل الدولة عدة أشكال منها :-

١- نقل المعلمين من القرى والمدن الإقليمية إلى العاصمة لكي يقوموا بالتدريس بها، وبين أيدينا حالات كثيرة جدا، لا أجد داعيا لذكرها لعدم الاطالة، وسأضرب بعض الأمثلة فقط.

محمد بن مروان بن زريق من أهل بطليوس كان «شيخا عاقلا حليما وسيما، وكان تاجرا، استقدمه الحكم المستنصر بالله رحمه الله وكتب عنه (١٧)».

محمد بن فرج بن سبعون النحلي (٣٦٧هـ / ٩٧٧ م)، من أهل بجانة استقدمه الحكم المستنصر إلى قرطبة فسمع منه غير واحد. (١٨).

وهب بن مسرة بن مفرج (المتوفى ٣٤٦هـ / ٩٥٧)، الحجاري استقدم إلى قرطبة بكتبه وأخرجت إليه أصول ابن وضاح التي سمع فيها فسمعت عليه وسمع منه علم كثير ثم انصرف إلى بلده (١٩).

واستمرت حركة نقل المعلمين من القرى إلى العاصمة على مدار فترة الوجود الإسلامي في الأندلس، ونجد أمثلة كثيرة خلال العصر الناصري بغرناطة وخاصة فترة الأمير محمد الفقيه ثم عهد أبي الحجاج يوسف وابنه محمد الغني بالله، وتكفي هنا الإشارة إلى :

محمد بن إبراهيم بن محمد الأوسي (٧١٥هـ /

وبينما نجد أن المرابطين يحاربون محاربة شديدة كل من له صلة بعلم الكلام، وأن أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين (٥٠٠-٥٣٧هـ / ١١٠٧-١١٤٣م) قد «استحكم في نفسه بغض علم الكلام وأهله وكان يكتب عنه في كل وقت للبلاد بالتشديد في نبذ الخوض في شيء منه، وتوعد من وجد عنده شيء من كتبه، ولما دخلت كتب أبي حامد الغزالي - رحمه الله - المغرب، أمر أمير المسلمين بحرقها، وتقدم بالوعيد الشديد من سفك الدم، واستئصال المال إلى من وجد عنده شيء منها، واشتد الأمر في ذلك» (١٤)، نجد أن الفلسفة تزدهر على عهد الموحدين وأنه قد ظهر على أيامهم عدد من الفلاسفة منهم أبو بكر محمد بن طفيل (المتوفى ٥٨١هـ / ١١٨٥ م) وأبو الوليد محمد بن رشد (المتوفى ٥٨٥هـ / ١١٨٩ م) ولقد كان أمير المؤمنين أبو يعقوب (٥٥٨-٥٨٠هـ / ١١٦٣-١١٨٤ م) شديد الشغف بآبن طفيل إلى درجة أن ابن طفيل كان يقيم في القصر أياما ليلا ونهارا لايظهر، ويقول المراكشي : «ولم يزل أبو بكر هذا يجلب إليه العلماء من جميع الاقطار وينبئه عليهم، ويحضره على اكرامهم، والتتويه بهم، وهو الذي نبهه على أبي الوليد محمد بن رشد، فمن حينئذ عرفوه، ونبه قدره عندهم (١٥)».

واختتم هذه النقطة بملاحظة على درجة كبيرة من

١٣١٥ م) ، من أهل مرسية ؛ أقرأ التعاليم والطب والأصول بغرناطة لما استقدمه السلطان ثاني الملوك من بني نصر من مدينة بجاية ، فانتفع الناس به (٢٠) .

علي بن عمر بن ابراهيم بن عبد الله الكنانسي القيحاوي ، كان أوحداً (المتوفى ٧٣٠هـ / ١٣٣٠ م) زمانة علما وتخلقا وتواضعا وتفنا ، ورد غرناطة مستدعى عام ٧١٢هـ / ١٣١٢ م ، وقعد بمسجدها الأعظم يقرى فنونا من العلم من قراءات وفقه وعربية وآدب (٢١) .

ولقد قام الوزير ابن الخطيب بمجهود كبير في البحث عن العلماء والتنبيه عليهم ونقلهم الى غرناطة (٢٢) ، يقول ابن الخطيب عند ترجمته لأبي جعفر أحمد بن ابراهيم بن أحمد بن صفوان القيس .

« الى أن نظرت في أمور الملك ، فانتشلت من مهواه ، ودلت البر على مثواه ، وأسيت له الجراية ، ونشرت من تعظيمه الراية (٢٣) . »

ويقول عند ترجمته لمحمد بن الولي الرعيني (المتوفى ٧٥٠هـ / ١٣٤٩ م) ، « بأنه طلب للتصديق للاقراء فأبى لشدة انقباضه فنبهت بالباب السلطاني على وجوب نصبه للناس ، فكان ذلك في شهر شعبان من عام وفاته (٢٤) . »

ويقول ابن الخطيب في رسالة على لسان سلطانه انه كان « يندب الناس الى تعليم القرآن لصبيانهم ، فذلك أصل أديانهم (٢٥) . »

ومما يدل على أن الاقراء في الجامع كان يتم بمشاورة الخليفة ، ان لم يكن بأمر مباشر منه مايرويه القاضي عياض ، نقلا عن ابن عبد البر ، في ترجمته لأحمد بن خالد (المتوفى ٣٢٢هـ / ٩٣٤ م) ، من أنه كان يقعد للناس في مجلسه حيث انتهى به المجلس ولا يبتسم « وعزم عليه آخر في الانتقال الى الجامع بأمر أمير المؤمنين ، بما لم يجد منه بد ، وعمارته بنشر العلم ، بعد موت محمد بن لبابة (٣١٤هـ / ٩٢٦ م) ، فأجاب الى ذلك بعد اباية شديدة (٢٦) . »

وما يروي عن سعيد بن عمير بن عبد الرحمن (المتوفى ٣٠١هـ / ٩١٣ م) من أنه كان يسكن بلاط

مغيث ، فنقله الأمير عبد الله الى المدينة بغرب الجامع (٢٧) . »

٢- أجر المعلمين ، وفي هذا المجال فان الصورة قد أخذت أشكالا متعددة فبينما كان عبد الرحمن الثالث يمنح جوائز للمعلمين ، نجد أن المستنصر بالله قد أوقف حوانيت السراجين للاتفاق على معلمي الكتابات التي أنشأها بقرطبة ، ولدينا نص صريح على دفع مرتبات للمدرسين أوزده الضبي في كتابه بغية الملتبس عند ترجمته ليحيى بن بقي المعروف بالسلاوي ، (توفى بمرسية ٥٦٣هـ / ١١٦٨ م) ، حيث يقول عنه :

«الواعظ ، الفقيه ، عارف بالتفسير ، أديب ، طيب . . أقام بمرسية أعواما جمّة يعظ الناس ، ولم يكن يأخذ شيئا من أحد ، كان الأمير بمرسية محمد بن سعد (٥٤٢هـ / ١١٤٧ م) قد جعل له مرتبا ثم قطع عنه ، فاشتغل بالطب ، وظهر فيه فكان يعين نفسه مما يعود عليه منه ولا يسأل أحدا شيئا (٢٨) . »

ومن الجدير بالذكر في هذا المجال مايقال عن الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين من أنه « كان يسير في أعماله فيتفقد أحوال رعيته في كل سنة ، وكان محبا للفقهاء والعلماء والصلحاء ، مقربا لهم ، صادرا عن رأيهم مكرما لهم ، أجرى عليهم الأرزاق من بيت المال طوال حياته (٢٩) . »

أما عبد المؤمن بن علي - أول خليفة موحد - فلقد كان مؤثرا لأهل العلم محبا لهم ، محسنا اليهم ، يستدعيهم من البلاد الى الكون عنده والجوار بحضرته ، ويجري عليهم الأرزاق الواسعة ، ويظهر التنويه بهم ، والأعظام لهم (٣٠) . »

هناك مظهر آخر من مظاهر حصول المعلمين على الأجر ألا وهو تعيينهم في وظائف معينة ، وأكثر هذه الوظائف كانت العمل في أحد المساجد اما خطيبا أو مقرئا أو اماما ، وانتي على يقين من أن اسناد هذه الوظائف كان في الدرجة الأولى اعطائه الفرصة للقيام بالتعليم في هذا المكان ، علاوة على أن كثيرا من وظائف الدولة كانت تسند الى العلماء والفقهاء وغيرهم من رجال العلم ، ونستدل على ذلك

بما تنقله كتب التراجم ومنها مثلا :

خلف بن رزق الأموي المقرئ ، من أهل قرطبة (المتوفى ٤٨٠هـ / ١٠٨٧ م) ، كان أمام مسجد الزحاجين بقرطبة ، وصاحب الصلاة بالمسجد الجامع بقرطبة ، وكان يقرئ القرآن ، ويعلم العربية ، وكان حسن التلقين جيد التعليم (٣١) .

ابراهيم بن محمد بن علي ، أصله من جزيرة طريف . ونشأ بقرطبة ولى الخطابة والامامة بجامعها سنة ٧١٦هـ / ١٣١٧ م) ، وجمع بين القراءة والتدريس فكان مقرئا للقرآن ، مبرزاً في تجويده ، مدرسا للعربية والفقه ، أخذاً في الادب متكلماً في التفسير ، ظريف الخط (٣٢) .

وهناك من النصوص الكثيرة ما يؤكد أن اسناد مثل هذه الوظائف كان يرجع الى شخصيات رئيسية في الدولة ، وان لم يكن الى الخليفة نفسه ، يقول ابن الأبار نقلاً عن القاضي ، نذير بن وهب بن نذير الفهري انه : كان بشننتمرية (٣٣) ، معلم كتاب يؤدبهم ، ويؤم في مسجدين : أحدهما يصلي فيه نهارة والثاني ليلاً ، فكتب الى الحاجب أبي مروان عبد الملك (٤٩٦هـ / ١١٠٣ م) يسأله التقديم في المسجد الجامع للصلاة في دولة مع سائر الأئمة ، فوقع له في مكتوبه :

أطبق تأديباً وعقد إمامة

في مسجدين وجامع انساك

أثبت على احدى المراتب لا تزد

فمن الزيادة يتقى النقصان (٣٥)

بالاضافة الى هذه المظاهر كلها من تدخل في شئون المعلمين فان كتب التاريخ قد حفظت لنا نصاً قيماً جداً يبين لنا تدخل الأمراء في بعض النواحي الشخصية جداً من حياة المعلمين أقصد بذلك ما يحكى عن حبيب بن دحون (توفي بعد سنة ٢٠٠ هـ / ٨١٥ م) ، من أنه كان فقيهاً فاضلاً ، قدم الأندلس بعلم كثير ، فذهب الى شره ، فكان يتحلق اليه في المسجد الجامع بقرطبة ، وهو يلبس الوشي الهشامي (٣٦) ، وما شاكلة فتكاثر الناس عليه فكره الأمير عبد الرحمن ذلك ، وأوصى اليه بترك التحلق (٣٧) .

ثالثاً - الاشراف على أماكن التعليم وعلى انتظامه :

في هذا المجال أيضاً تعددت مظاهر تدخل الدولة في التعليم ويمكن حصرها في عدة نقاط منها :

١- زيارة الأماكن التعليمية ، ولقد سبقت الإشارة الى زيارة الصميل لمؤدب وهو يعلم الصبيان ، وزيارة القاضي أمية ابن عيسى لدار الرهائن في ساعة من ساعات تعليم هؤلاء الصبيان ، ولدينا زيارات أخرى كثيرة قام بها رجال مسئولون في الدولة للمعلمين أثناء قيامهم بالتعليم ، قام الوزير الشهير هاشم بن عبد العزيز بزيارة الفقيه وهب بن عبد الأعلى في مجلس علمه (٣٨) ، والخليفة الحكم المستنصر بالله قد قام بزيارة الفقيه أبي الحسن الأنطاكي ، وعين له الأنطاكي بعض من يقرأ القرآن أثناء هذه الزيارة (٣٩) ، وعلى عهد الموحدين كان الخليفة يحضر مجالس التعليم بنفسه ، ويقوم بتشجيع الحاضرين ومساعدتهم (٤٠) .

يضاف الى ذلك المناظرات العلمية ، والمجالس التي كان يعقدها الخلفاء والأمراء ، ولسوف أتناول دور هذه الأماكن في العملية التعليمية في مجال منفصل .

٢- دور القضاة في التدخل في بعض مظاهر العملية التعليمية ، هناك شبه اجماع من جميع من تناولوا العملية التعليمية في الأندلس أو كتبوا عنها بعض الفصول على أن « الكتاتيب » أو ان شئت المدارس الأولية كانت خاضعة نظرياً لاشراف المحتسب (٤١) .

وان كان ماثراً انتباهي هو الدور الذي كان يلعبه القضاة حيث توقفت طويلاً أمام ظاهرة تردد اسمائهم مرتبطة ببعض المسائل الخاصة بالتعليم ، وتدخلهم في بعض شئونها ، والمشكلة بالنسبة لي التي صعب علي حلها أو الوصول الى رأي نهائي فيها هي ، هل كان القضاة يقومون ببعض هذه التصرفات بصفة شخصية أم بصفتهم الوظيفية ؟ ، فالقاضي أمية بن عيسى هو الذي تدخل لدى معلم الرهائن ليوصيه بعدم تعليمهم شعر عنترية ، وان يعلمهم أشعار الحسن بن هاني ، وصاحب السوق على عهد الأمير محمد هو الذي تولى أيضاً محاسبة الفقيه بن عبد الله الخشني ، وصاحب المدينة على عهد عبد الرحمن الناصر